

امتدادات الفلسفة اليونانية في الفكر البلاغي لدى حازم القرطاجني

Extensions of Greek philosophy in rhetorical thought of Hazem Cartagni

محمد عبد الفتاح مقدود*

جامعة حسيبة بن بوعلي بالشلف (الجزائر)، mekmedadef@gmail.com

أ.د. العربي عميش

جامعة حسيبة بن بوعلي بالشلف (الجزائر)، larbipaulrobert@yahoo.fr

د.سهيلة ميمون

جامعة حسيبة بن بوعلي بالشلف (الجزائر)، chlefuniversit2005@yahoo.fr

تاريخ الوصول 2020/12/26 تاريخ القبول 2021/03/28 تاريخ النشر 2022/03/31

ملخص:

يظهر البحث الفلسفي الجمالي متجذرا في عمق الحضارات والدراسات العربية منها وغير العربية، ولما كان لهذا الموضوع أثر في اهتمامات آراء النقاد على اختلاف توجهاتهم الفكرية، ارتأينا الوقوف على هذا الامتداد والأثر في جهود حازم القرطاجني البلاغي عبر تقصي آرائه الدالة على فلسفة الجمال لديه، وسنسعى إلى الإجابة عن إشكالية مدى تأثر حازم القرطاجني بفلسفة الجمال في الثقافة اليونانية.

الكلمات المفتاحية: الفلسفة اليونانية؛ النقد العربي؛ فلسفة الجمال؛ حازم القرطاجني؛ البلاغة العربية.

ABSTRACT :

Thus the topic had an impact on the minds and opinions of critics in all their directions Hence the situation required that we stand on this archaeological stretch of Hazem Cartagni by investigating the opinions that indicate this problematic by answering the following questions _Does Hazem Cartagni Have a philosophical extension in the Greek heritage ?

Key Words: Greek philosophy, Arab criticism, Islamic philosophy, Hazem Cartagni, Arab rhetoric.

1. مقدمة:

ألقت الحضارة اليونانية بظلالها على مختلف التوجهات الفكرية خاصة في مجال العلوم الإنسانية، فكان بذلك للعرب نصيبهم منها؛ وامتدادها داخل الفكر الفلسفي كان أشد تأثيرا لما للتقارب المنهجي من صلة بينه وبين الرؤية الفكرية لمجال العلوم الإنسانية والآداب، ولما في التعاطي مع الأحداث والوقائع التي عايشها الإنسان عبر مر العصور. ولعل الذوق الفني لم يكن بعيدا عن هذه الموجة، فكان فيه من الامتزاجات والتداخلات ما يوحى لدى المنتقي وجود تصور مستورد يعكس سعة اطلاع المبدع، أو بنيتة الفكرية المترتبة عن الحياة المعيشية، وخلال بحثنا هذا سنحاول الوقوف على ما تركته الفلسفة اليونانية وأعلامها في التراث الأدبي والفني العربي، وعلى سبيل المثال لا الحصر بتناول

* المؤلف المرسل

شخصية حازم القرطاجني؛ وكيف جذبها الذوق الأدبي اليوناني في تعاطيها مع القضايا النقدية والبلاغية، وكيف قام ذلك التواضع بين الطرحين، وكيف تجلّى في نماذج نقدية إبداعية.

2. الفلسفة الجمالية لدى أبرز أعلام اليونان:

سنقف عند التعرّض لهذا الموضوع إلى عينة فلسفية يونانية تقارب مفهومًا إنسانيا دقيقا للجمال يتناسب مع الحسّ الفطري الإنساني ذلك " أنّ طريق الحسّ موضع تتلاقى عليه طباع البشر ، ويتحكم إليه الأبيض والأسود ... " ¹ ، وفي المقولة اليونانية التي اعتمدها مدخلا لمناقشة فلسفة الجمال ، سنتناول أبرز أعلام فلسفة الجمال ثمّ نبين مدى التداخل العميق بين رؤية حازم القرطاجني من حيث النقد الجمالي ، ومقابلها سنتعرض للروافد اليونانية في ذات الموضوع .

1.2 مفهوم الجمال لدى (أفلاطون-Plato) 347-427 ق.م:

يؤكد أفلاطون على أنّ الجمالية هي اكتمال الحب، وهو أساس الجمال باعتباره ذو طبيعة مشتركة؛ بحيث كلّما كان الحبُّ أقوى كان أقدر على إظهار مكامن الجمال ، وصياغة تركيبه والأشكال التعبيرية التي تضمّنته ، وفي سبيل ذلك قال عن موضوع الحبّ: "فهو ليس خالدا ولا فانيا، وليس حكيما ولا جاهلا، وليس خيرا ولا شريرا، وليس جميلا ولا قبيحا، وإمّا هو في مرتبة وسط بين الخلود والفناء، بين الحكمة والجهل، بين الخير والشر، بين الجمال والقبح" ² ، انطلاقا من هذه المتواليات المعنوية لدى أفلاطون ينشأ منحى فكرييلور رؤيته للجمال، بمعنى أنّ الجمال يقوى بحسب درجة الحب، بل أساس الجمال لديه الحب، ففكرة الحب والجمال لدى أفلاطون قائمة إذن على التكامل بينهما، ولا يمكننا القول عن شيء لا نحبّه جميلا، والعكس ، وبناء على هذا التوجّه الفلسفي يتّضح لنا أنّ عاطفة الحبّ في نظرية الجمال لدى أفلاطون ليست تلك العلاقة الساذجة بين الجنسين وإنما هي أسلوب حياة تجاه كلّ ما يحيط بنا في الحياة ، فالحبّ هو إجراء حياتي يمنح الذات الإنسانية توازنا وظيفيا ترى من خلاله الذات كل ما يعترضها أو يواجهها.

وبما أنّ مبدأ التفكير الفلسفي لا نستطيع القول : إنّهُ ابتداء بعالم بعينه ، وإنما هو إحساس إنساني إذا لم يتفق له الظهور كثقافة فقد ناسبه أن يتشخص في شكل معايشة إنسانية منذ القديم ، نقل لنا أفلاطون رأي الفيلسوف أغاثون من خلال قوله: "كلّ من مسّه الحب بيده أصبح شاعرا حتى لو لم يكن قد نظم بيتا واحدا من الشعر من قبل ويكفي هذا دليلا على أن الحبّ مبرز في كلّ فنّ من الفنون قادر على الخلق والإبداع... وهو ربّ الحرف جميعها، فمن تتلمذ له سعت إليه الشُّهرة، أمّا الذي يظلّ بمنأى عنه فلا يزال مغمورا حاملا، ولقد اكتشف أبولو بإرشاد الحب فنون الرماية والطب والعرافة حتى، ليحق أن نسميه تلميذ الحب" ³ ، فالمبدع هو محبّ للطبيعة والإنسان لا يستطيع بشعوره النبيل أن يقف ضدّ إيجابية الحياة.

نلفي القولين السابقين حاملين معا معنى صريحا عن الجمالية ، يتجلّى لنا بوضوح أنّ ماهية الجمال لدى أفلاطون، والتي بُنيت على الحب مع أنّ سبيل الإلهام بثُّ روح الإبداع المنتجة -حسبه- للشاعر، حتى لو كان هذا الشاعر فاقدا التجربة بمعنى ؛ كأنه يحاول القول بأن عمق الحب الدفع إلى روعة الإبداع هو عين التمكن والكفاءة على إنشاء الجمال الأدبي.

أكد أغاثون؛ على أنّ حبكة الجمال تُضفر من شَعْر الخير والسعادة بل أن الجمال لن يكتمل له قوام ذوقي رفيع ما لم يكن متميزا حسبه بخير وسعادة عميقين، وفي ذلك يقول: "الحبّ في ذاته بارع الجمال، فائق الخير، وهو علّة الجمال والخير في غيره"⁴، كأنّ أغاثون، بهذا القول، ينفي وجود أحد دون الآخر من حيث يراهما مرتبطين بعلاقة استلزام وجودي بشيء من التبادل الوظيفي، لذلك فإن شرط الجمال الذوقي؛ الخير الفئّي، ويكون ضدّ القبح الشكلي أو القبح المعنوي. وخلافا لما سبق سوجه، نجد أفلاطون دون أن ندري دوافعه- يستدرك قائلا: ثمة من الإشارات إلى علائقية الحقيقة بالخير نحو مصبّ الجمال فالحقيقة بما هي مطابقة للواقع تفيد ضربا من الجمال بناء على توافقها مع الواقع أو المنطق، ونلفي ذلك جليّا في قوله على لسان سقراط؛ نافيا لألوهية الحب عن إيروس باعتباره مفتقدا لمكانيزماته التي يُجملها في الجمال والسعادة من خلال قوله: "... وأن الآلهة تمتاز بالسعادة والجمال في حين أن إيروس لا يتمتع بأي صفة من هاتين الصفتين"⁵. والحقيقة الفطرية الثابتة التي لا يمكن دفعها هي أن الجمال في الإحساس الفطري يُقيّم من خلال الراحة أو الاطمئنان التي يشيعها في النفس، فالهدوء والوضوح، والاستراحة، والمتعة دائما تكون عبارة عن قيم حسية منتجة للإحساس بالجمال، فالجمال ليس دائما بصريا وإنما قد يُتلقى من خلال التأثيرات الحسية أو الانفعالية الأخرى خاصة تلك التي تُفسر بقيمة حياتية ما.

إنّ رؤية أفلاطون لفلسفة الجمال مسلك نابع من الحب الذي هو نتاج المنع، حيث يقول أفلاطون في هذا الباب: "هو اشتهاؤ صادر عن الحرمان، إذ ما من أحد يشتهي ما هو حاصل له"⁶، فبذلك كسبت الجمالية استقلالية ذاتية تهتم بالتفكير في الفن دون سواه، والاشتغال على مشكلة الجميل الذي شغل حيزا كبيرا في مؤلفات (أفلاطون) والذي حدد القواعد المقصورة على إنتاجه -الجميل- ووظيفيته في شتى مجالات الاستعمال لدى المجتمع⁷. والمنع مثلما هو متداول في السلوك البشري له صلة بالأخلاق والقيم والنظام.

نجد أفلاطون قد أُلح على مبدأ حد الإلزام بفكرة الجمال الدائم بحيث أنّ ما كان عكس ذلك فهو رد؛ أي أن الأدب الجميل هو أداء دائم ومستمر لا ينقطع ويقابله إحساس جميل يزدرى في مساره الزائل طمعا في الدائم⁸. والأدب على مرّ التجارب الإنسانية ظلّ مرتبطا بالأخلاق والسيرة الحسنة، فالنبل هو أحد القيم السيرية الداعمة لمفهوم الأدب والإبداع.

2.2 مفهوم الجمال لدى (أرسطو - Aristotle) 328-384 ق.م:

ينطلق أرسطو في تأصيله لمفهوم الجمال انطلاقا من كون "التناسق التكويني وأن العالم يتبدى من أجل مظاهره؛ فهو لا يعني برؤية النَّاس كما هم في الواقع بل كما يجب أن يكونوا عليه"⁹، فالجمال بهذا الاعتبار يأخذ حسب أرسطو منحى ميثاليا ويتعيّن على الإنسان وفق هذا أن يسعى إلى الاتسام بالجمال فعليا بدل التحلّي به شكليا فقط، يتحقق التميز بالجمال من خلال اكتساب أساليب مميزة، وخواص مخالفة لما جاء به الأوائل.

يتحلّى الجمال في تفكير أرسطو الفلسفي في كونه مجموعة مكونات أساسية وفرعية أبرزها: الكلية-Wholeness بالإضافة إلى التآلف-Consonantia، وكذا ما يسميه أرسطو بالنقاء أو الإشعاع-Radiance، وهذه المكونات يعتمد عليها لبنة أساسية في التكامل وطريقة هامة للانسجام بغية إعطاء مفهوم ومدلول كافي عن الجمال والذوق الجمالي المتوازن

والمعتدل¹⁰. وبناء على هذا فالتناسق والانسجام والتوازن والتناظر والتماثل كلها بنيات تشكيلية مفيدة ضروريا من الجمال والتنسيق والتنظيم في حد ذاته جمالية بصرية تصدّقها المعايضة الفعلية لمعطيات الحياة.

وقد جعل أرسطو التحليل الملموس للأشياء المحسوسة أساس الفن باعتباره شكلا للجمال الأدبي؛ أي أن الفن أو الجمال هو إصدار جديد لتلك الرؤية المحسوسة وراء بنيات النصوص، وهي صورة أنموذجية مثالية في الخلق الفني والجمالي¹¹. والفنّ يتصل بكل رهيف رقيق وينافي كل خشين أو عبثيّ.

وفيما أرجع أرسطو الفنون في ذاتها إلى الطابع الفلسفي القائم على المحاكاة بالطبيعة باعتبارها القاسم المشترك بين الكل من أدب وموسيقى ورسم ففي رأيه كل الفنون تستند إلى قيم موحدة في الحفاظ على البنية الجمالية لمجالاتها¹²، أي الجمال لدى أرسطو يأخذ طريق الرمزية في تشكيله والتواؤم بين أفكاره وصوره ليخرج في تلك الحقيقة الموضوعية؛ فهو "خلق على خلق أو إعادة بناء العالم عبر الإنسان أو إحلال القدرة الإنسانية محل القدرة الإلهية أو أنه النشوة باكتشاف الحقيقة المكتومة"¹³، بمعنى أن الفكرة الجميلة لا يأتي إلى الذات بل الذات هي التي تبحث عنها وتسبغ عليها كثيرا من القناعات والقيم التي يتشبع بها الإنسان.

اهتمّ أرسطو في ضوء أفكاره الفلسفية أيما اهتمام بالأدب وفنيته من خلال تتبع مظاهر الجمال وأشكاله التشكيلية والتعبيرية وذلك؛ سواء كان ذلك بإرادة المبدع في حد ذاته أو بغير إرادة منه، ويتجلى هذا في حديث سهير القلماوي عن أفلاطون وأرسطو حيث تقول: "درس كل منهما حقيقة الشعر على طريقته، فظفر النقد الأدبي منذ فجره بكل ما يمكن أن تقود إليه عقلية ممتازة تبدأ بالمحسوس لترى ما خلفه من حقائق وكل ما يمكن أن تقود إليه عقلية ممتازة..."¹⁴، ففي هذا النقل من قيمة إلى أخرى تأكيد لما سبقه كون الأدب هو فن يتميز بالجمال؛ وبلسمات أرسطو الفلسفية حاز النقد الأدبي مسلكا يوصله إلى ترجمة الماورائيات الفنية وتفسيرها في حدود الموجودات الطبيعية استنادا في ذلك إلى المحاكاة.

1.3 : فلسفة الجمال من منظور حازم القرطاجني:

اعتنى حازم القرطاجنيّ مثل غيره من البلاغيين العرب بمسائل الفن، والجمال سواء على مستوى الصنّاعة الشعرية أو فيما تعلق بالدّهنيات المبدعة؛ فالشعرية -حسبه- هي مكمّن الجمال، ومستودع الإبداع ومربط الذوق، وحالها حال النظم عند عبد القاهر الجرجاني -في تخريجه له، فكما النظم لا يكتمل إلا بجودة السبك وحسن اللفظ؛ كذلك الجمالية لا تكتمل إلا بحس الذوق ولطف المنزع، وبراعة الإبداع، مشكّلة بذلك لوحة شعرية شاعرية معبرة ومؤثرة.

ولو استقرنا مجهودات حازم القرطاجني وجهوده الجمالية على مستوى التنظير، سنجدها تتجلى في مواطن عديدة، وعلى سبيل المثال لا الحصر؛ رؤيته للشعر، مفهومها ونظريّة.

تبلورت شخصية حازم القرطاجني الأدبية بالموازات مع ظروفه السياسية المحيطة وفي ظل حالة الركود المتبوع بانحطاط الدولة الأندلسية حاول مباغتة الظروف لاستعادة مجد الإبداع العربي الذي لا يميز غالب عليه أنذاك؛ إلا الشعر، وقد لمس هذا العديد الدارسين، بل أكدوا على أن نزوع حازم إلى التنظير في الشعر والبيان كان بدافع قومي أساسه نخوته

العربية وذوقه الأصيل وذوده عن حمى الفصاحة والبيان، حيث جاء في تاريخ النقد عند العرب أنه "لم يكن غريبا على حازم الذي فقد وطنه أن يحس بالضيق وأن ينعكس إحساسه هذا على حال الشعر والنقد في عصره"¹⁵، ففي هذا إشارة مباشرة على ما سلف ذكره، وأن حازم إنما نزع به الأمر إلى التأليف نتيجة شخصيته العربية وأخلاقه القومية النبيلة، قبل فكره وحسه النقدي والبلاغي.

وقد يكون لفلسفة الجمال المرتبطة بالشعر لدى حازم القرطاجني صلة بما كان يذكره من صلته بمزاولة الشعر أو في أحسن الأحوال قراءته المبدعة للأشعار، فالتحليل النقدي الجمالي لدى حازم القرطاجني مرتبط بالذوق الشخصي فقد كان يذهب في تقييم كثير من الآراء النقدية للشعر مذهب المتذوق الفاعل أو المبدع.

لقد كانت ثقافة حازم القرطاجني مستقوية بأصلها العربي ومتفتحة على حضارات الشعوب الأخرى، خاصة القديمة منها وهذا لا يخف على المتمرس في فنون الإبداع والجمال، فحازم بلمسته العربية - خلال تنظيره للشعر - المستوحات من ابن سينا في قراءته للجمالية - سبق تناولها في الفصل الأول - لم تغب تلك اللمسات غير العربية من إبداعاته، بل تجلت في كثير من آرائه النقدية والبلاغية، فقد احتك بصناعة الشعر احتكاكا ودود التناول شديد التعمق؛ بحيث أنّ قطعه الشعرية وقصائده كانت متنوعة؛ فمنها الصوفي والهزلي والوصفي، إلا أن ميزتها الأساسية المغلفة لبنيتها العامة من حيث الشكل والمعنى كانت في اللمسة البلاغية والجدية في البنية التعبيرية¹⁶، وهذه دلالة التلاحق الثقافي والفكري لدى حازم، بل إنه أحد المميزات الفنية التي عكست صورة التنوع الإبداعي ومستجيبة لروح المغامرة الشعرية في بؤرها المكتنزة¹⁷

في خضم هذا التداول، أخذ حازم القرطاجني روح المبادرة فكان كثير النقد والانتقاد لأذواق غيره من الشعراء والبلاغيين، وكان يرى الحاجة الملحة إلى ضرورة تربية الذوق، وتهذيب الفكر، قد هداه هذا التوجه إلى تبني رؤية الإصلاح في مجال الشعر، وذلك باعتبار الشعر نمطا خطايا مختلفا عن الخطاب النثري من حيث الشكل، ومن حيث الوظيفة¹⁸، خاصة من ناحية البنية البلاغية للقصيدة العربية، ولتحقيق ذلك المبتغى حدّد حازم منوالا يحوي نسيجا من الضوابط والقواعد التي تحمي، بدورها، الصناعة الشعرية من التلّف، ولعلّ أبرزها؛ نظرية الإبداع الشعري ذات الطابع الجمالي، والذي ينزع دوما بالنفس المتلقية إلى أصالة البلاغية العربية، ويلازم بها إبداعات التنظير في أدب الفلاسفة المسلمين، وفلاسفة اليونان، بالإضافة إلى أننا نجد حريصا على رؤيته الإصلاحية في الشعر خاصة مع معاصره ممن تخلّوا عن الرواية والتعلم، وأهملوا الصناعة الشعرية الحقيقية¹⁹؛ من هذا السند كذلك نستوحي أن الدافع من وراء نزعة الإصلاح الشعري لدى القرطاجني تكونت بفعل ظروف خارجية عايشها في زمانه ومكانه، والتي أراد بإصلاحها بعث الروح الحقيقية للشعر وتقريب جماليته أكثر إلى الأمة العربية حينها، وهذا بعد شيوع الركود وانتشار الجمود الإبداعي الناتج عن انحطاط حلّ بأهل الإبداع ورموز الأمة في كل مجالاتها.

لا يختلف الذوق الجمالي لدى حازم القرطاجني في جوهره عن معنى البلاغة الأصيل، فهو يرى أنّ الجمال الشعري لا يتحقّق إلا بشعر مليح قويم دقيق الصنعة بعيدا عن ما يضره من الشوائب اللفظية أو السقطات الفنية وهي في نظره المواصفات الصحيحة التي تسمو بالشعر من قيد الوزن والقافية نحو أفق معنوية تأثيرية وبلاغية في غاية الجمال، إذ يقول

في ذلك: "فإننا نجد الحريص على أن يكون من أهل الأدب المتصرفين في صوغ قافية أو فقرة من أهل زماننا يرى وصمة على نفسه أن يحتاج مع طبعه إلى تعليم معلّم أو تبصير مبصّر، فإذا تأتى له تأليف كلام مقفى وموزون وله الغث القليل منه بالكثير من الصعوبة بأي وسم، وظن أنه قد سامى الفحول وشاركهم رعونة منه وجهلا، من حيث ظنّ أن كل كلام مقفى وموزون هو شعر"²⁰، وبهذا، يكون حازم القرطاجني، حسب قراءتنا، قد علّل لرأيه بنهج نظر أكثر دقة عن غيره من البلاغيين الجماليين العرب، حين قال بامتداد الشعر خارج أرض القافية، والوزن إلى سماء المعاني والبلاغة في ظلّ جودة العبارة.

2.3 ماهية الشعر:

يتناسب تعريف الشعر مع المبدأ الفلسفي كثيرا، فلقد وطّن حازم القرطاجني مفهومه للشعر يمكن اعتباره متكأ نظريا لهذا الفنّ، حيث يقول في موضوعه: "الشعر كلام مخيّل موزون، مختص في لسان العرب بزيادة التقفية إلى ذلك، والثامه من مقدمات مخيّلة، صادقة كانت أو كاذبة، لا يشترط فيها الدراية بماهية الشعر غير التخيل"²¹، من هذا القول نلّفني حازم القرطاجني حازما في تحديد مفهوم الشعر، وصارما في ضبط منهجته غير متبته لما قد قيل أو مما قد يعاب عليه في القادم، وحسب رأيينا نرجح بأن هذا الإقدام راجع إلى انفتاحه على الحضارات الفكرية بمختلف مشاربها، وإلى صلابته موقفه النقدي الذي كان مؤسسا وفق مزيج من المسلمات المنطقية والحسية، أي لا غلو ولا تشبث بالشكل ولا غلو في المعاني؛ والسداد كل السداد حسبه في التقلب بينهما امتزاجا ومفاضلة بحسب الحالة والشعور والظروف.، والتخيل الذي جعله القرطاجني شرطا من شروط الشعرية له صلة بالفنّ والجمال لأنه قادر على اختراق الواقع المحدود.

فقد تقال أشعار على غير الضوابط الشعرية لكنها نابعة من تخييلات وإحساسات صادقة في منطلقها، هادفة في رسالتها، فنال بذلك شرف الشعرية اللغوية والأدبية، والعكس، أما وأنها تجتمع فيها مختلف فنون الكلام مع ضوابط الميزان الشعري المقفى، فإنّه من الإحسان بمكان في ذلك البيان، وهذا الأخير ما يتجسد في نماذج الشعر العربي القديم والحديث الذي امتثل للضوابط الوزنية شكلا وكيفا، ولقد سبق حقيقة الجاحظ تبني هذا الاتساع في الشعرية حين ناقش في البيان والتبيين مسألة كون الشكل الشعري الشكلي أو النمطي لا يمكنه أن يوفر للقول شروط الشعرية، واشترط مع ذلك توافر النية والقصد الذي هو المنزع.²²

اعتبارا مما سلف ذكره يمكننا توليد طرح جاء ضمينا في خطاب حازم القرطاجني، مفاده أن الحسّ أغلب على اللفظ الموقّعد، والعبرة لديه تكمن فيما جادت به المشاعر وليس فقط ما سمعته الآذان، بمعنى أن القول الشعري لا يهم صدقه ولا كذبه -تخيلا طبعاً- بقدر ما يهم التصوير المليح للأحداث في بنية راقية المعنى منسجمة المبنى ذات تأثير في نفس المتلقي ممثلة للجمالية ومدللة عليها، حيث يقول: "فمحصول ما عدا الأقاويل الشعرية إيقاع تعريف أو تصديق بما لا تشد علقته بالأغراض أو لا تكون علقته بالجملة، أو مغالطة السامع وإيهامه أنّ ذلك واقع، ومحصول الأقاويل الشعرية تحصيل الأشياء الحاصلة في الوجود وتمثيلها في الأذهان على ما هي عليه خارج الأذهان، من حسن أو قبح أو حقيقة"²³؛ وهذا التفسير كفيلا بأن يكون أكثر إماما بما طرحه حازم القرطاجني حيث أكد فيه على أهمية التخيل في التصوير بغض النظر عن صدقه من عدمه.

يشير حازم ، في معرض حديثه عن الشعر ، كذلك يشير إلى أن الجمالية اللغوية ، والتخييل هما بمثابة شرع الفلك الشعري لحظة انبعائه من النفس المتأثرة نحو المتلقي التواق إلى المساهمة في إنتاج الشعرية ، والمتوافر على الذوق الكافي لتبني ذلك السهم ، وذلك على اعتبار أنهما بمثابة جبل الإمساك بالقارئ أو شعرة معاوية الملائمة للربط بين طرفي الخطاب الشعري ، كل هذه الترتيبات الأدبية والنقدية تستلزم في أساسها غاية شعرية تُبعث في نص شعري نعتبه السبيل الأمثل في ترجمة المختلجات إلى عبارات، أو بتعبير آخر أكثر دقة؛ "إن الشعر كلام، وهو عندما ينهض ويأخذ في التشكل يظلّ مندرجا في دائرة الكلام، ولكنه يعلن عن نفسه كنوع من الكلام له خصوصياته المميّزة"²⁴؛ أي أن الشعر ينطلق لفظا عاديا في أساسه، سرعان ما يغدو كلاما شاعريا في عباراته وتركيبه، وفي الوقت نفسه ينتقل من واقع التأثير في القائل - قبل أن يلفظه - إلى مؤثر في المتلقي بعد أن يتلقفه هذا الأخير.

تُرجع هذه الروح الأدبية التي نلمسها لدى كثير من الأدباء ، باختلاف فترات حيواتهم ، إلى الأصل في مفهوم الشعر لدى ابن منظور(711هـ) ، حيث نعتقد أنّ حازم القرطاجني لم يجانبه ، ولم يخالفه، بل كان محتزيا لأركان المفهوم وسائرا على النمط القائل "الشعر منظوم القول، غلب عليه شرفه بالوزن والقافية"²⁵ ، ففي هذا التعريف قد يلتبس على القارئ بعض الرؤى، فيقول كيف لكم أن تطرحوا رأيا مفاده أن حازم القرطاجني لم يعتمد القافية والوزن ثم تقولون أنه لم يجانب مفهوم ابن منظور وهذا الأخير يراهم أساس القول الشعري؛ وجوابنا هنا كالتالي: إن حازم القرطاجني انطلق من مسلمات تراثية ممزوجة في أساسها بين ما جادت به خزائن العرب واليونان وحاول نقل ذلك في قالب جديد عمل من خلاله على تطوير الواقع الشعري بإضافة بعض الموارد التي اقتضتها المتغيرات العصرية، وكان بذلك مستمسكا بالأصل متماشيا مع متطلبات العصر.

وفي دائرة نفس الفلك السالف الذكر ، كانت تفكير ابن خلدون(749هـ) الذي بيّن فيه مفهوم الشعر على أنه "الكلام البليغ المبني على الاستعارة، والأوصاف المفصلة بأجزاء متفقة في الوزن والروي، مستقل كل جزء منها في غرضه ومقصده عما قبله وما بعده، الجاري على أساليب العرب المخصوصة به"²⁶ ، فقد كان ابن خلدون ، في هذا الفهم للشعر ، أكثر وضوحا بتعريفه هذا ، حيث لم يتعد كثيرا عن ما أراده حازم القرطاجني في منهاجه، وتتجلى نقاط التقاطع بين الفكرتين في أن كلاهما (حازم-ابن خلدون) يتناولون الشعر من باب التأثير مع الحفاظ على القلب العام، طبعا مع بعض التفاوت في ترصيص الشكل العام للقصيد، لكن الجوهر التأثيري الجمالي من حيث جودة التعبير وقوة التأثير في المتلقي يبدو لنا أنهما على نسق واحد.

وكذلك يحمل ابن خلدون في رأيه هذا إشارة إلى أن التميميات اللفظية التي يستهلكها الشاعر في استلاب عقل السامع وإمتاعه لها علاقة بتعزيز المعنى والدلالة على حد سواء، وهذا عين البلاغة على حد تعريف عبد الملك مرتاض حين قال: "فإن البلاغة مجالها المزخرف المؤتق من الكلام، وحقلها الجميل الحسن من القول"²⁷ ، وهذا إنما نراه داعما ل طرحنا ومؤكدا عليه باعتباره يصب في معنى واحد مع ما جاء به حازم وابن خلدون، والشيء الذي تقاطع فيه الكل كان حول الطابع الجمالي للعبارة ودوره في تحقيق البلاغة من خلال الأسلوب الفني الراقي، "إذ إن النص الأدبي الجمالي شبيها بالميدان

الذي يشترك فيه القارئ والمؤلف في لعبة التخيل²⁸ والشاعر دائما ينتظر من المتلقي أن يشاركه في المنجز الشعري هذا بالقول وذاك بالتفهم.

3.3 نظرية الشعر لدى حازم القرطاجني:

عُرف عن رواد البلاغة وأعلام البيان اهتمامهم بالجمال وأشكاله، والفن وألوانه، وتجلت معالم الشعرية العربية مع هذا الحرص لتكون محط الدراسات ولب الاهتمامات الأدبية، خاصة مع انتشار الترجمات ودخول التراث اليوناني حيز الاستعمال لدى العرب، فاعتدى من الصعب الوقوف على رأي واحد في مجال معين، أو طرح فريد دون غيره، لما آل إليه راهن الدراسات أنذاك.

وتبعا للسياق السابق نجد المفكرين العرب والأدباء منهم قد عرّجوا على الخطب والقصائد بالدراسة بنوع من التجديد في المناهج والآليات، فبعدها كانت -على سبيل المثال لا الحصر- القصيدة العربية تتطابق مفهوماً لدى الشاعر بتلك الضوابط الشكلية والوزنية الإيقاعية التي سنّها الشاعر العربي بسليقته الحسية دون التصريح بذلك، أصبحت تعرف تطوراً وتنوعاً في الرؤى من حيث شكلها-لغتها-دراسة أثرها، وهنا بدأت إفرزات النمط التفكيري لكل دارس وذلك بالنظر إلى توجهه طبعاً، وبدل من أن تبقى الساحة النقدية على مذهب الفكرة والطرح الواحد، صار لازم على رواد الفكر النقدي انتهاز مبدأ المفاضلة بين الآراء نتيجة الاختلافات الإبداعية الحاصلة، وبالتالي كل ونظرتة للشعر، وكل ومعينه الذي يُسقى منه، فهناك من كانت "نظرتهم إلى الشعر على أنه فرع من فروع المنطق يعد نقطة البدء في تحديد هذا النسق، حيث يحدد بداية مهمّة الشعر المعرفية التي تؤهله لها...، إن حضور التصور الأرسطي في بناء النظرية الشعرية عند الفلاسفة المسلمين؛ أمر لا يمكن أن ننفيه، فكل قراءة في هذا الاتجاه سوف لا تحيد عن المنحى العلمي الذي يرومه الباحث النزيه، لأن التلازم المنطقي بين الفلسفة الأرسطية والفلسفة العربية الإسلامية بيّنٌ وظاهراً"²⁹، والقول هنا يحمل إشارة مباشرة إلى أن المشارب الفلسفية اليونانية كان لها أثر في بعث رؤية جديدة على مستوى تفكير النقاد والبلاغيين المسلمين، في الوقت نفسه كان أنصار المنطق في قضايا الإبداع على مسلك واحد رغم اتساع الفوارق العقدية والاجتماعية بينهما، والحجة في ذلك أن المنطق بمسلماته هو نقطة التقاطع بينهما، والقاسم المشترك بين تراتبية الأفكار العربية واليونانية مما أنتج انسجاماً وتآلفاً بين رواد المجال.

4. خاتمة:

إنّ امتداد التفكير الجمالي اليوناني في الحضارة نتاجات المفكرين البلاغيين العرب خاصة في مجال النقد الأدبي المغلّب للانطباق الفلسفي على وجه الخصوص برز واضحاً في مقولات النقاد البلاغيين العرب من حيث قدرناه من جهة الطروحات الواردة في الآثار العربية البحثية والنقدية، ومن حيث المنجز الإبداعي الذي حمل في طياته ربحاً فلسفية يونانية.

وإذا جئنا إلى الفكر الجمالي والجمالية وفلسفتها عند اليونان أو لدى حازم القرطاجني ، ألفيناهما متناجزين متوافيين يحيل كلّ واحد منهما على الآخر فيدلّ عليه ، أو يكمله بالشروحات والإضافات الواضحة المعالم ، لذلك فقد اتّسم الجمال لدى اليونان مرتبطاً بفكرة الحب القائم بين الشكل الأدبي ونفس المتلقي عبارة عما تفرزه الحياة من قيم حسية وانفعالية

تصير آراء ونظريات تقييم خلاصة تجارب الحياة ، ولقد كانا لجمال عبارة عن كلِّ حسنٍ ضدَّ القبح ، وضد المنع. بل إننا نجد الجمال ، كذلك ، في مفهوم الانسجام والتأليف بين العبارات والنصوص ، وتوازنها وفق شكل متكامل فيما بينها. للأسباب المستعرضة سابقا ذهب بعض الباحثين إلى أن الحب والجمال متكاملان فيما بينهما خلال رحلة الجمالية وذلك باعتبارهما سلوكين حياتيين ضروريين للإنسان لا يستطيع الاستغناء عن قيمهما ، ولن يستطيع المبدع إنتاج الجمال دون تفعيل للحس؛ الذي هو شرط الجمال كما يرى أرسطو طاليس.

يعد الجمال في أنه نتاج محاكاة النفس المبدعة لأشكال الإبداع، وينعكس هذا في حصول المنفعة لدى المتلقي، وقد نجد بعضهم يحمل الجمالية في الحقيقة واعتبار هذه الأخيرة أساس الجمال، أي لا مجال لتفعيل الخيال أو الأحاسيس المعنوية. ورأى جماليون على غرار سقراط أن الجمال الذوقي أرفع من الجمال الجسدي، أي أن سقراط خالف غيره وذهب إلى حصر الجمال في الأحاسيس والذوق باعتباره الأرفع والأسمى، فيما يبقى الجمال الشكلي أقل شأنًا من غيره.

نجد من النقاد العرب والدارسين الذين أحدثوا هزة نقدية في عالم الجمالية؛ حازم القرطاجني والذي اهتم بالصناعة الشعرية، كونها أساس الجمالية الفنية، ومبعث كل إحساس أدبي، لكن تركيزه على الشعر والفصاحة كان أشد من غيرهم؛ ونرجح السبب أنه لدواعي قومية ورغبة منه في إعادة إحياء الخط الأدبي الأصيل.

تلاقح تفكير حازم القرطاجني وظيفيا مع التفكير الفلسفي الجمالي اليوناني ، وسرى ذلك بكلِّ وضوح في تراث البلاغة العربية ، اشتمل التركيز في موضوعه على الإصلاح الشعري نتيجة رغبة في إعادة البلاغية إلى مجدها الأول، كما كانت لحازم رغبة كذلك في تحيين حال البلاغة والجمالية سواء في واقعه المعاش أو على مستوى ذهنية النقاد آنذاك، باعتبار البلاغة والجمالية وجهين لعملة واحدة فهما لا ينفكان عن بعضهم بعض، والعلاقة بينهما علاقة تداخل وتكامل وتأثير وتأثر.

لقد كانت لحازم قراءة جديدة للشعر ، إذ يمثل في أنه الوزن والقافية بشرط الذوق النابع من التخيل، أما تلك الضوابط الشعرية الشكلية كانت في الدرجة الثانية من الأهمية، بل إن الضوابط الوزنية والتعبيرية إذا حلت من التخيل والتأثير لا يمكن أن ترقى إلى مرتبة الشعر حسب حازم.

عُدَّ التأثير في المتلقي عامل مهم لإحداث الجمالية، وإلا كانت مجرد منسوجات لفظية لا يصح فيها وسم الإبداع؛ كما أن الحسن أغلب على اللفظ المقعد، والعبرة لديه تكمن فيما جادت به المشاعر وليس فقط ما سمعته الآذان.

يمكننا القول أن الجمالية نتاج الشاعرية التعبيرية، وهذه الأخيرة؛ إنما هي حالة شعورية تصاحب النفس المرسلّة والمستقبلة خلال العملية التواصلية في آن واحد.

تتحلى الامتزاجات الفكرية بين فلسفة حازم النقدية والفلسفة اليونانية في كونهم تناولوا الجانب الحسي بعيدا عن الشكليات القائلة للإبداع أحيانا، كما يتأكد التواشج الفكري بينهما في عملية التعاطي مع النص؛ فهم يتناولون الظاهرة الجمالية ككتلة متكاملة، تبرز فيها الأحاسيس وجودة الأسلوب وسعة التخيل وقوة التأثير.

5. قائمة المراجع:

1. ابن خلدون، المقدمة، المجلد 02، ط 02، دار الكتاب البياني، بيروت-لبنان، 1979.

2. ابن منظور، لسان العرب، المجلد1، د.ط، دار صادر، بيروت، د.ت، مادة قفوا.
3. إحسان عباس، تاريخ النقد عند العرب، د.ط، دار الثقافة، بيروت، 1983.
4. أحمد بقار، محاضرات في مقياس علم الجمال، د.ط، جامعة قاصدي مرياح، ورقلة، د.ت.
5. أسماء خوالدية، في تطبيق نظرية التقبل على النص الصوفي -تديرا لمعانيه وكشفا لمغاليقه، مجلة اللغة الوظيفية، العدد2.
6. أفلاطون، المأدبة "فلسفة الحب"، ترجمة: وليم الميري، د.ط، دار المعارف، مصر، 1970.
7. ألفت كمال الروبي، نظرية الشعر بين فلسفة ابن رشد وبلاغة القرطاجني، د.ط، دار التنوير، بيروت-لبنان، 2007.
8. حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق: محمد الحبيب بن خوجة، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان، 1981.
9. حسين خمري، الظاهرة الشعرية العربية-الحضور والغياب دراسة-، ط1، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2001.
10. زكرياء إبراهيم، مشكلة الحب، د.ط، مكتبة مصر، القاهرة، 1984.
11. السعيد أحي، نظرية الشعر، بين فلسفة ابن رشد وبلاغة القرطاجني، د.ط، الهيئة المصرية العامة، القاهرة، 2014.
12. سهير القلماوي، فن الأدب 1 (المحاكاة)، ط2، دار الثقافة، القاهرة، 1973.
13. شارل لالو، مدخل إلى علم الجمالية، د.ط، ترجمة: إيليا الحاوي، منشورات كولان، باريس، 1952.
14. عبد الملك مرتاض، نظرية البلاغة، ط2، دار القدس العربي، الجزائر، 2010.
15. عدنان رشيد، دراسات في علم الجمال، د.ط، دار النهضة العربية، بيروت، 1985.
16. عزالدین إسماعيل، الأسس الجمالية في النقد العربي عرض وتفسير ومقارنة، د.ط، دار الفكر العربي، القاهرة، 1992.
17. مارك جيمينيز، ما الجمالية، ترجمة: شربل داغر، ط1، المنظمة العربية للترجمة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2009.
18. محمد صابر عبيد، المغامرة الجمالية للنص الشعري، د.ط، دار عالم الكتب الحديث-جدارا للكتاب العالمي، إربد-عمان، الأردن، 2008.
19. محمد لطفي اليوسفي، الشعر والشعرية، د.ط، الدار العربية للكتاب، القاهرة، 1992.
20. محمد مندور، الأدب وفنونه، ط2، دار نضضة مصر، القاهرة، د.ت.
21. يوسف كرم، تاريخ الفلسفة اليونانية، د.ط، دار القلم، بيروت، د.ت.

¹ ابن جني ، الخصائص الجزء الأول ، تحقيق: محمد علي النجار ، ط:3 عالم الكتب بيروت ، 1983 ، ص:90

2 زكرياء إبراهيم، مشكلة الحب، د.ط، مكتبة مصر، القاهرة، 1984، ص104.

3 أفلاطون، المأدبة "فلسفة الحب"، د.ط، ترجمة: وليم الميري، دار المعارف، مصر، 1970، ص33.
نفسه، ص52.

5 زكرياء إبراهيم، مشكلة الحب، ص104.

6 يوسف كرم، تاريخ الفلسفة اليونانية، د.ط، دار القلم، بيروت، د.ت، ص98.

7 ينظر، مارك جيمينيز، ما الجمالية، ترجمة: شربل داغر، ط1، المنظمة العربية للترجمة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2009، ص99.

8 ينظر، يوسف كرم، تاريخ الفلسفة اليونانية، ص98.

9 أحمد بقار، محاضرات في مقياس علم الجمال، د.ط، جامعة قاصدي مرياح، ورقلة، د.ت، ص3.

10 ينظر، عزالدین إسماعيل، الأسس الجمالية في النقد العربي عرض وتفسير ومقارنة، د.ط، دار الفكر العربي، القاهرة، 1992، ص38.

11 ينظر، عدنان رشيد، دراسات في علم الجمال، د.ط، دار النهضة العربية، بيروت، 1985، ص9-10.

12 ينظر، محمد مندور، الأدب وفنونه، ط2، دار نضضة مصر، القاهرة، د.ت، ص10.

- 13 شارل لالو، مدخل إلى علم الجمالية، ترجمة: إيليا الحاوي، د.ط، منشورات كولان، باريس، 1952، ص38.
- 14 سهير القلماوي، فن الأدب 1 (المحاكاة)، ط2، دار الثقافة، القاهرة، 1973، ص32.
- 15 إحصان عباس، تاريخ النقد عند العرب، د.ط، دار الثقافة، بيروت، 1983، ص539.
- 16 ينظر، حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق: محمد الحبيب بن خوجة، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان، 1981، ص70.
- 17 ينظر، محمد صابر عبيد، المغامرة الجمالية للنص الشعري، د.ط، دار عالم الكتب الحديث-جدارا للكتاب العالمي، إربد-عمان، الأردن، 2008، ص147.
- 18 ينظر، حسين خمري، الظاهرة الشعرية العربية-الحضور والغياب دراسة-، ط1، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2001، ص147.
- 19 ينظر، السعيد أخي، نظرية الشعر، بين فلسفة ابن رشد وبلاغة القرطاجني، د.ط، الهيئة المصرية العامة، القاهرة، 2014، ص387.
- 20 حازم القرطاجني، منهاج بلغاء وسراج الأدباء، تحقيق: محمد الحبيب بن الخوجة، ص1777.
- 21 نفسه، ص89.
- 22 ينظر، الجاحظ، البيان والتبيين، المجلد الأول، دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان 1968، ص195.
- 23 حازم القرطاجني، منهاج بلغاء وسراج الأدباء، تحقيق: محمد الحبيب بن الخوجة، ص120.
- 24 محمد لطفني اليوسفي، الشعر والشعرية، د.ط، الدار العربية للكتاب، القاهرة، 1992، ص273.
- 25 ابن منظور، لسان العرب، د.ط، المجلد1، دار صادر، بيروت، د.ت، مادة قفوا.
- 26 ابن خلدون، المقدمة، المجلد02، ط02، دار الكتاب البياني، بيروت-لبنان، 1979، ص506.
- 27 عبد الملك مرتاض، نظرية البلاغة، ط2، دار القدس العربي، الجزائر، 2007، ص43.
- 28 أسماء خوالدية، في تطبيق نظرية التقبل على النص الصوفي -تدبرا لمعانيه وكشفا لمغاليقه، مجلة اللغة الوظيفية، العدد2، ص90.
- 29 ألفت كمال الروبي، نظرية الشعر بين فلسفة ابن رشد وبلاغة القرطاجني، د.ط، دار التنوير، بيروت-لبنان، 2007، ص142.